

## البحث عن السعادة في (سُبل السعادة)

أ. عزة مصطفى عبد العال

كاتبة الأطفال

لا شك أن أدب الطفل يواجه تحديات كثيرة في عصرنا الحديث، فنحن أمام طفل مفتون بالتكنولوجيا ومأسور بالتقليد لكل ما هو جديد، عينه على الغرب في نفس الوقت الذي يفقد فيه هويته التراثية، فلم يعد ثمة ما يربط هذا الجيل بماضي أمته سوى ما يتلقاه في مجتمع المدرسة من شذرات عابرة يكاد يتذكرها بالتكرار.

وفي الوقت الذي اختفت فيه القصص التراثية، ك: (الشاطر حسن)، و(ست حسن والجمال)، و(على بابا والأربعين حرامي)، احتلت القصة الأجنبية والمترجمة مركز الصدارة في أولويات الطفل، سواء مرئية أو مقروءة أو حتى مسموعة، وأصبح الكاتب العربي بشكل عام والكاتب المصري بشكل خاص واقعاً بين فكي الكماشة: ما بين تقليد الغرب في قصص المانجا والمغامرات والخيال العلمي، وتأصيل الشرق في قصص القيم التربوية والآداب الاجتماعية. وقد ظهرت شريحة كبيرة من الكتاب الذين تبنوا الكتابة للطفل، بل نجد فئة ليست بالقليلة من الكتاب الكبار اتجهوا إلى ذلك الصنف من الكتابة، ولا ألومهم في ذلك، خاصة أن لي عدة تجارب في هذا المضمار، فالكتابة للطفل مغرية في جميع أحوالها، سواء كتب الكاتب عن تجارب طفولته أو عن علاقته

بالأطفال المحيطين به أو تبنى فكرة تربية وأراد الترويج لها من خلال القصص. والجدير بالذكر أن الكتابة للطفل تختلف بعض الشيء عن الكتابات الأخرى، فالإ جانب توفير عنصر متعة القراءة يجب أن يحتوى العمل على رسالة وهدف تربوي، وهنا تكمن الصعوبة؛ لأنني سأخفي الفكرة بين ثنايا النص فلن أقول له بشكل مباشر ووعظي: افعل كذا ولا تفعل كذا، ولكن سأقدم له قصة مائعة، وأترك الفرصة لذكائه كي يفهم الرسالة والهدف.

والسيد شليل من الكتاب المعدودين الذين أدركوا خبايا الكتابة للطفل وهذا ما لامسته من خلال مجموعته القصصية (سُبُل السعادة) الصادرة عن المركز القومي لثقافة الطفل، وكما نعلم فإن العتبة الأولى للنص هي العنوان، والعنوان هنا كاشف وصريح ويقودك إلى تتبع خطواته كي تصل في نهاية الطريق إلى السعادة.

**القصة الأولى بعنوان: (مفتاح السعادة)**، وكأن للسعادة باباً لا يُفتح إلا بمفتاح خاص لا يملكه سوى المحظوظين، وهذا ما فهمه سعيد - واختيار اسم سعيد ليس مصادفة - وظل حريصاً على المفتاح الذي عثر عليه صدفة، واعتقد بتفكيره الطفولي أنه مفتاح أبواب سعادته، ربما يرمز المفتاح هنا إلى التعلق بمعتقدات خاطئة حتى وإن كانت تبدو في ظاهرها جيدة، لكن الكاتب كسر ترسيخ الأخطاء بالثقة بالنفس، والعمل الجاد عن طريق ضياع المفتاح، وفوز سعيد في المباراة.

**والقصة الثانية بعنوان: (أوتار المحبة)، والأوتار هنا أوتار موسيقية؛**

لما للموسيقا من أثر كبير في تحريك المشاعر وتهذئة الانفعالات، فصاحب الأوتار يعزف لحنًا جميلًا على الربابة، فيظن حافظ أن الآلة تنطلق باللحن من تلقاء نفسها بمجرد العزف عليها، وحين فشل في ذلك أعادها لصاحبها؛ ظنًا منه أنها غير مطيعة معه، وهنا يأتي دور العلم حين يفصح الراوي - بطل القصة- عن معرفته بطرق العزف على عدة آلات موسيقية، فيهديه صاحب الأوتار نايًا ليعزف عليه أجمل الألحان بخبرته ومهارته في العزف. أراد الكاتب في هذه القصة أيضًا أن يؤكد على أن السعادة لا تتحقق إلا بالعلم والمثابرة عليه.

**والقصة الثالثة من سُبُل السعادة بعنوان: (يومًا ستكبر ألعابي)، وهي**

عن العلاقة بين الأخوة الكبار والصغار، ونظرًا لفارق السن يظن الأخ الصغير أن أخته التي تكبره بسنوات تحظى بألعاب أفضل من ألعابه البسيطة، وهنا يأتي دور الأب الحكيم؛ ليلقن ابنه الدرس الذي لن يفهمه سوى بالممارسة العملية، فيعقد بينهما اتفاقًا وهو أن يتبادلا الألعاب لمدة أسبوع، ورغم فرح الأخ الصغير بفرصة اللعب بألعاب أخته الكبيرة إلا أنه يكتشف عجزه عن التعامل مع الآلات الموسيقية التي تعزف عليها أخته بمهارة فائقة، كما أنه لم يرغب في اللعب بالعروسة، واشتاق إلى ألعابه البسيطة، وفي اللحظة التي شعر فيها بالملل نام، واستيقظ على صوت زقزقة العصافير، ورأى العصفور الكبير وهو يطير بعيدًا، ويعود معه طعام للصغار، ويظل يكرر العمل دون ملل، وفي ذلك

إشارة إلى فهمه بوجود فارق في ممارسة الأدوار بين الكبير والصغير، فما كان منه إلا أن عاد إلى أعباه بحب وود، وهذا تصريح من الكاتب على أن السعادة لا تتحقق سوى بالشعور بالرضا والقناعة، وعدم التطلع الدائم إلى ما يملكه الغير.

سارت سُبُل السعادة في ثلاث طرق مختلفة: الطريق الأول بالعمل الجاد والاجتهاد والثقة بالنفس، والطريق الثاني بالعلم والمحبة، والطريق الثالث بالرضا والقناعة، وهذه هي مفاتيح السعادة كما طرحها علماء النفس والفلاسفة على مر العصور.

وأرى أن الكاتب نجح في إيضاح الفكرة، كما جاءت اللغة بها شيء من النضج والجمال، فلم يتعامل مع الطفل بسذاجة التعبير اللغوي كما يفعل البعض؛ اعتقاداً منهم أن عقل الطفل لا يستوعب سوى التراكم والمفردات البسيطة، وقد وظف الكاتب عناصر القصة القصيرة، وظهر الإيجاز والتكثيف في مواضع كثيرة؛ مما أضاف جمالاً إلى النص؛ حتى لا يشعر القارئ الصغير بالملل.

سبل السعادة ليست العمل الأول للسيد شليل، فهو كاتب مصري له كتابات متنوعة في مجال القصة القصيرة والرواية، وقد تميز في الآونة الأخيرة في الكتابة الموجهة للطفل، ومن أبرز كتاباته:

- 
- (ما حدث في بستان العم سعفان)، قصص صدرت عن الهيئة العامة للكتاب.
  - (الصيد والطائر الذهبي)، صدر عن دار الصفاء بالإمارات.
  - (قوس قزح بدون ألوان)، صدر عن دار واو.
  - (محاكمة السكينة المسكينة)، عن دار ميم.
  - (اليوم الهويات)، عن دار الأديب.
  - (مملكة النسيان)، عن دار شان.
  - (يومًا يتحقق حلمي)، عن دار أكوان.